دراسات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

دراسة عقدية في

إبليس

إعداد

أ. د. محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار طيبة

دراسة عقدية في

إبليس

أصـل هـذا الكـتـاب بـحـث للمـؤلـف نشـر فـي
مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ح دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العلي ، محمد عبدالعزيز

دراسة عقدية في إبليس. / محمد عبدالعزيز العلي .- الرياض ، ١٤٣٠هـ

١٥٩ص ، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٤-٧٩-٨٠٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الشياطين والجان أ- العنوان

ديوي: ٢٤٣ ٦٢١٩ / ١٤٣٠

رقم الإيداع: ٦٢١٩ / ١٤٣٠

ردمك: ٤-٧٩-٨٠٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولي

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي

ش. السويدي العام - غرب النفق - ص. ب ٧٦١٢

الرمز البريدي ١١٤٧٢ هاتف ٤٢٥٣٧٣٧ (٦ خطوط) فاكس ٤٢٥٨٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:

فقد كثرت الكتابات في الجن والشياطين، وفي الملل والنحل والاتجاهات المخالفة لما جاء به رسل الله عليهم الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى، ومن تلك الكتابات ما هو علمي محقق، وكثير منها إنشائي ثقافي.

وقد لفت انتباهي خلو المكتبة العلمية من كتابة عقدية محققة تدرس أصل الجن والشياطين، ومنشأ تلك الملل والنحل والاتجاهات، وأعظم أسباب الشرك والضلالات، أعني إبليس الذي أقسم بالله تعالى على إغواء بني آدم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢،٨٣].

ولهذا أقدمت على هذه الكتابة التي بذلت فيها جهدي لدراسة ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال أهل العلم في إبليس؛ دراسة تظهر ما ثبت

من النصوص والأخبار في هذه المسألة الغيبية؛ بعيدًا عن الإسرائيليات والآثار غير الثابتة، التي ملأت كثيرًا من التفاسير.

ورأيت أن يكون عنوانه: **(دراسة عقدية في إبليس)**، فهو عنوان مختصر يدل على مضمونه.

وقد قسمت الموضوع إلى مقدمة وخمسة عشر مبحثًا.

تحدثت في **المقدمة** عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره إجمالاً.

المبحث الأول: تعريف إبليس، والفرق بينه وبين الجن والشياطين.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف إبليس في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف الجن.

المطلب الثالث: تعريف الشيطان.

المطلب الرابع: إطلاق لفظ الشيطان على كل متمرد.

المطلب الخامس: الفرق بين إبليس والجن والشياطين.

المبحث الثاني: زمن خلقه.

المبحث الثالث: مادة خلقه.

المبحث الرابع: أصله (الاختلاف في أصله، وهل هو من الجن أو من الملائكة؟ عرض أدلة القولين، ثم الترجيح مع مناقشة أدلة القول الآخر).

المبحث الخامس: حقيقة سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

المبحث السادس: امتناع إبليس عن الامتثال لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام.

المبحث السابع: فساد قياس إبليس.

المبحث الثامن: فساد شبهة إبليس وبطلانها.

المبحث التاسع: الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم عليه السلام.

المبحث العاشر: هل دخل إبليس الجنة.

المبحث الحادي عشر: عرش إبليس.

المبحث الثاني عشر: إنظار إبليس، ثم موته، والحِكَم من ذلك.

المبحث الثالث عشر: بيان كيف يعذب إبليس بالنار، وهو مخلوق منها.

المبحث الرابع عشر: الحكمة من خلق إبليس وجنوده.

المبحث الخامس عشر: الحكمة من ذكر قصة إبليس وتكرارها في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المصادر والمراجع.

هذا، وأسأل الله إخلاص النية وصلاح العمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

المبحث الأول

تعريف إبليس والفرق بينه وبين الجن والشياطين

وأي نقص أعظم من هذا؟!

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب... وهذا من القياس الفاسد؛ فإن عنصر النار مادة الشر والفساد، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع...، فهذا قياس شيخ القوم الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلانًا من هذا القياس»[١].

وقال الشنقيطي: «مثل قياس إبليس نفسه على عنصره الذي هو النار، وقياسه آدم على عنصره الذي هو الطين، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم، ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى: ﴿ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار... فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس...»[٢].

إذن فامتناع إبليس إنما كان عن كبر وكفر وإباء وحسد، وعلى سبيل التعنت قاس قياسًا فاسدًا زاعمًا أنه خير من آدم ظانًا أن النار خير من الطين، فعارض النص، وأبى أن يكون مع الساجدين.

يقول ابن القيم: «مناظرة إبليس عدو الله في شأن آدم، وإبائه من السجود له، وبيان فسادها، قد كرر الله تعالى ذكرها في كتابه، وأخبر فيها أن امتناع

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٤٧،٦٦٣ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ١٣٥ .

إبليس من السجود كان كبرًا منه وكفرًا ومجرد إباء، وإنما ذكر تلك الشبهة تعنتًا، وإلا فسبب معصيته الاستكبار والإباء والكفر، وإلا فليس في أمره بالسجود لآدم ما يناقض الحكمة بوجه.

وأما شبهته الداحضة، وهي أن أصله وعنصره النار، وأصل آدم وعنصره التراب، ورتب على ذلك أنه خير من آدم، ثم رتب على هاتين المقدمتين أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو فوقه وخير منه، فهي باطلة من وجوه عديدة»(١).

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ١٣٩ .

إبليس من السجود كان كبرًا منه وكفرًا ومجرد إباء، وإنما ذكر تلك الشبهة تعنتًا، وإلا فسبب معصيته الاستكبار والإباء والكفر، وإلا فليس في أمره بالسجود لآدم ما يناقض الحكمة بوجه.

وأما شبهته الداحضة، وهي أن أصله وعنصره النار، وأصل آدم وعنصره التراب، ورتب على ذلك أنه خير من آدم، ثم رتب على هاتين المقدمتين أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو فوقه وخير منه، فهي باطلة من وجوه عديدة»[1].

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ١٣٩.

ذكر العلماء وجوهًا كثيرة في بيان فساد شبهة إبليس، وبطلان حجته حين امتنع عن السجود وقال: ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ ؛ فإن دعواه كونه خيرًا من آدم دعوى كاذبة باطلة، واستدلاله عليها بكونه مخلوقًا من نار، وآدم من طين استدلال باطل، وليست النار خيرًا من الطين والتراب، بل التراب خير من النار وأفضل عنصرًا.

وإليك ذكر فساد شبهته من وجوه:

الأول: أن الطين من شأنه الرزانة والحلم والثبات والأناة؛ ولهذا نفع آدمَ عنصُره بالرجوع والإنابة والانقياد والاستسلام لأمر الله تعالى وطلب التوبة والمغفرة.

أما النار فمن شأنها الإحراق والطيش والحدّة والاضطراب، ولهذا خان إبليسَ عنصُره فأبى واستكبر وشقي.

قال المناوي: «والطين من طبعه السكون، والنار من طبعها الحركة، فلا يُتصور نار مشتعلة تسكن، بل لا تزال تتحرك بطبعها، وقد كلف المخلوق من النار أن يطمئن من حركته ساجدًا لما خلق من الطين فأبى واستكبر أن يسجد لآدم...»[1].

الثاني: أن النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلقت به، بخلاف التراب.

الثالث: التراب يتكون فيه ومنه أرزاق الحيوان وأقواتهم، ولباس العباد وزينتهم، وآلات معايشهم، ومساكنهم، والنار لا يتكون فيها شيء من ذلك.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤٥٠ .

الرابع: التراب ضروري للإنسان والحيوان، فالحيوان لا يستغنى عنه البتة، ولا عن ما يتكون فيه ومنه، والنار يستغنى عنها الحيوان، وقد يستغنى عنها الإنسان الأيام والشهور، فلا تدعوه إليها الضرورة.

فأين انتفاع الإنسان والحيوان كله بالتراب إلى انتفاع الإنسان بالنار في بعض الأحيان؟

الخامس: أن التراب إذا وضع فيه القوت أخرجه أضعاف أضعاف ما وضع فيه، فمن بركته يؤدي إليك ما تستودعه فيه مضاعفًا، ولو استودعته النار لخانتك وأكلته، ولم تبق ولم تذر.

السادس: الطين قائم بنفسه، فلا يحتاج إلى حامل، أما النار فإنها لا تقوم بنفسها؛ بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به يكون حاملاً لها، فالطين أكمل منها لغناه وافتقارها.

السابع: أن النار مفتقرة إلى التراب، وليس التراب مفتقر إليها؛ فإن المحل الذي تقوم به النار لا يكون إلا مكونًا من التراب أو فيه، فهي الفقيرة إلى التراب، وهو الغني عنها.

الثامن: التراب كامن فيه الخير والبركة، فكلما أثير وقلّب ظهرت بركته وخيره وثمرته. أما النار فإنها وإن حصل بها بعض المنفعة والمتاع فالشر كامن فيها، لا يصدها عنه إلا قسرها وحبسها، ولولا القاسر والحابس لها لأفسدت الحرث والنسل.

التاسع: أن الله تعالى أكثر ذكر الأرض في كتابه، وأخبر عن منافعها، وخلقها، وأنه جعلها مهادًا وفراشًا وبساطًا وقرارًا، وكفاتًا للأحياء والأموات، ودعا عباده إلى التفكر فيها والنظر في آياتها، وعجائب ما أودع فيها.

ولم يذكر الله تعالى النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب، إلا موضعا أو موضعين ذكرها فيه بأنها تذكرة ومتاع للمقوين، تذكرة بنار الآخرة، ومتاع لبعض أفراد الإنسان، وهم المقوون النازلون بالقوا، وهي الأرض الخالية إذا نزلها المسافر تمتع بالنار في منزله، فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن!

العاشر: أن الله تعالى وصف مواضع من الأرض بالبركة في غير موضع من القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ [سبأ: ١٨]، وقال: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وأخبر سبحانه وتعالى أنه بارك في الأرض عمومًا فقال: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: ٩-١٠].

وأما النار، فلم يخبر أنه جعل فيها بركة أصلاً، بل المشهور أنها مذهبة

للبركة، ماحقة لها، فأين المبارك نفسه، المبارك فيها وضع فيه إلى مزيل البركة وماحقها!

الحادي عشر: أنه الله تعالى أودع في الأرض من المنافع والمعادن والأنهار والعيون والثمرات والحبوب والأقوات وأصناف الحيوانات وأمتعتها والجبال والجِنان والرياض، والمراكب البهية، والصور البهيجة، ما لم يودع في النار شيئًا منه.

فأي روضة وجدت في النار، أو جنة، أو معدن، أو صورة، أو عين فوارة، أو نهر، أو ثمرة لذيذة، أو لباس أو ستر!

الثاني عشر: أن المادة الإبليسية هي المارج من النار، وهو ضعيف يتلاعب به الهوى، فيميل معه كيفما مال، ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فأسره وقهره.

ولما كانت المادة الآدمية التراب، وهو قوي لا يذهب مع الهوى أينما ذهب قهر هواه وأسره، ورجع إلى ربه فاجتباه واصطفاه، فكان الهوى الذي مع المادة الآدمية عارضًا سريع الزوال فزال، وكان الثبات والرزانة أصليًا له فعاد إليه، وكان إبليس بالعكس من ذلك.

فرجع كل من الأبوين إلى أصله وعنصره؛ آدم إلى أصله الطيب الشريف، واللعين إلى أصله الرديء.

الثالث عشر: أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض محل بيوته التي يذكر فيها

اسمه، ويسبح له فيها بالغدو والآصال عمومًا، وبيته الحرام الذي جعله قيامًا للناس مباركًا فيه وهدى للعالمين خصوصًا، ولو لم يكن في الأرض إلا بيته الحرام لكفاها ذلك شرفًا وفضلاً على النار.

الرابع عشر: أن غاية النار أنها وضعت خادمة لما في الأرض، فالنار إنما محلها الخادم لهذه الأشياء، المكمل لها، فهي تابعة لها خادمة فقط، إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها، وإذا احتاجت إليها استدعتها استدعاء المخدوم لخادمه ومن يقضي حوائجه.

الخامس عشر: أن إبليس لقصور نظره، وضعف بصيرته، رأى صورة الطين ترابًا ممتزجًا بماء فاحتقره، ولم يعلم أن الطين مركب من أصلين: الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم، هذا وكم يجيء من الطين من المنافع وأنواع الأمتعة، فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أنه خير من النار وأفضل.

السادس عشر: الطين يغلب النار ويطفئها، وليست النار كذلك.

السابع عشر: أن الله جعل الأرض التي هي محل الطين والتراب مسجدًا وطهورًا، قال ﷺ: **«جعلت لنا الأرض مسجدًا وطهورًا»**[1]، وليست النار كذلك.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التيمم، الباب رقم (١)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح٥٢١،٥٢٢،٥٢٣ .

الثامن عشر: أنا لو سلمنا تسليمًا جدليًا أن النار خير من الطين؛ فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم، لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع، بل قد يكون الأصل رفيعًا والفرع وضيعًا قال الشاعر:

إذا افتخرت بآباء لهم شرف قلنا: صدقت، ولكن بئس ما ولدوا

التاسع عشر: أن آدم عليه السلام وإن كان مخلوقًا من طين فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرُف به؛ فهذا قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ فعلّق السجود بأن ينفخ فيه من روحه، فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله.

العشرون: أن آدم عليه السلام مخلوق بيدي الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ .

الواحد والعشرون: أنه لو سُلِّم بطريق الفرض الباطل أنه أفضل فقد يقال: إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر[1].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٨/ ٩٧-٩٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/ ٥،٦، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ١٩٤، وبدائع الفوائد ٢/ ١٣٩-١٤١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٤٧،٦٦٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ١٣٥.

المبحث التاسع

الجنة التي أسكنها الله آدم عليه السلام

بعد أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر، أباح سبحانه وتعالى لآدم وزوجه الجنة ليسكنا فيها، ويأكلا منها ما شاءا رغدًا، هنيئًا طيبًا، ومنعهما من الأكل من شجرة من شجر الجنة امتحانًا لهما، فأزلهما إبليس فأكلا منها، فأمرهما الله تعالى بالخروج منها، والهبوط إلى الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٤-٣٨].

وقد اختلف في الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم، أهي جنة الخلد أو لا؟ وهل هي جنة في السماء أو من جنان الأرض؟

والحق أن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم وزوجه هي جنة الخلد لقوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف: ٢٣-٢٤]، فقد أخبر سبحانه أنه أمرهم بالهبوط، وأن بعضهم عدو لبعض، وأن لهم في الأرض مستقرًا ومتاعًا إلى حين «وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض، وإنما أهبطوا إلى الأرض؛ فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى كانتقال موسى من أرض إلى

أرض لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والجنة التي أسكنها آدم وزوجه عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول... والنصوص في ذلك كثيرة، وكذلك كلام السلف والأئمة»[٢].

وقال ابن كثير: «والجمهور على أنها هي التي في السماء، وهي جنة المأوى؛ لظاهر الآيات والأحاديث، كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ والألف واللام ليست للعموم، ولا لمعهود لفظي، وإنما تعود على معهود ذهني، وهو المستقر شرعًا من جنة المأوى...»[٣].

ومما يستدل به أيضًا قوله تعالى لإبليس: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ وذلك بعد إخباره تعالى عن إبليس أنه قال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ وهذا «يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم؛ فإن الضمير في قوله: ﴿ مِنْهَا ﴾ عائد إلى معلوم غير مذكور في اللفظ، وهذا بخلاف قوله: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ فإنه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه، وقال هنا: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ لأن

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٤/ ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٧،٣٤٩ .

(٣) البداية والنهاية ١/ ٦٩ .

الهبوط يكون من علو إلى سفل، وعند أرض السراة حيث كان بنو إسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذي يهبطون إليه، ومن هبط من جبل إلى واد قيل له: هبط»[١].

ويدل عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٣-٢٥].

فقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ بعد قوله ﴿اهْبِطُوا﴾ يبين أنهم هبطوا إلى الأرض من غيرها.

وكذلك قوله بعد ذلك: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة[٢].

ويدل على القول الحق في هذه المسألة قوله ﷺ: «**احتج آدم وموسى- عليهما السلام- عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض...**»[٣] الحديث، وموسى – عليه الصلاة والسلام- إنما لام آدم- عليه الصلاة والسلام- لما حصل له وذريته بالخروج

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٤/ ٣٤٨.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٤/ ٣٤٨.

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع، منها كتاب أحاديث الأنبياء، ح٣٤٠٩، وأخرجه مسلم- واللفظ له- في كتاب القدر، ح٢٦٥٢ .

من الجنة من المشقة والنكد، فلو كان ذلك المكان الذي عوقب بالخروج منه بستانًا في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه»[١].

وكذلك قوله ﷺ: **«يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم!...»** [٢] الحديث.

فهذا النص الصحيح صريح بأن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم وزوجه، ثم أخرجهما منها هي جنة الخلد التي وعد المتقون.

ويقول ابن حزم[٣] بعد أن ردَّ على من قال بأنها غيرها: «فصح أن الجنة التي أسكن فيها آدم كانت لا شمس فيها، فهي جنة الخلد بلا شك، وأيضًا فإن قوله عز وجل: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ إشارة بالألف واللام، ولا يكون ذلك إلا على معهود، ولا تنطلق الجنة هكذا إلا على جنة الخلد، ولا ينطلق هذا الاسم على غيرها إلا بالإضافة.

وأيضًا فلو أسكن آدم عليه السلام جنة في الأرض لما كان في إخراجه منها إلى غيرها عقوبة، بل قد بين تعالى أنها ليست في الأرض بقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ، فصح يقينًا أنه قد أهبط من الجنة إلى الأرض، فصح أنها لم تكن في الأرض البتة»[٤].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٤/ ٣٤٩، والبداية والنهاية ١/ ٦٩ .
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح ٣٢٩ .
(٣) هو الفقيه الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤-٢١٢ .
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٨٣ .

المبحث العاشر

هل دخل إبليس الجنة ؟

قال بعض أهل العلم: إذا كانت الجنة التي أسكن الله تعالى آدم وزوجه هي جنة الخلد، فكيف تمكن إبليس من دخولها؟ إذ أزلهما عنها وأخرجهما مما كانا فيه؟

وأجيب عن ذلك بأجوبة، منها:

١- أنه مُنع من دخول الجنة مكرمًا، أما على وجه السرقة والإهانة فلا يمتنع.

٢-كان دخوله مرورًا لا استقرارًا.

٣- يحتمل أنه وسوس لهما وهو واقف على باب الجنة أو خارجها.

٤- يحتمل أنه وسوس لهما وهو في الأرض وهما في السماء[(١)].

ولعله يشهد للجواب الأول قوله ﷺ: «**لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به لينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلق خلقًا لا يتمالك**»[(٢)].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «قوله ﷺ: «**يطيف به**» قال أهل اللغة: طاف بالشيء يطوف طوفًا، وأطاف يطيف، إذا استدار حوله، توله ﷺ: «**فلما رآه أجوف علم أنه خلق خلقًا لا يتمالك**»، الأجوف: صاحب الجوف، وقيل: هو الذي داخله خالٍ، ومعنى لا يتمالك: لا يملك نفسه ولا يحبسها عن الشهوات، وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد: جنس بني آدم»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٨، والبداية والنهاية ١/ ٧٠ .

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقًا لا يتمالك، ح٢٦١١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٦٤ .

وهذا النص وإن كان صحيحًا وصريحًا في دخول إبليس الجنة إلا أنه قد يعترض على الاستدلال به بأن المراد منه دخول إبليس الجنة قبل امتناعه عن السجود لآدم، ومن ثمّ طرده منها.

وذكر بعض أهل العلم أن إبليس دخل الجنة مهانًا لا مكرمًا بواسطة الحية، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها تحمله حتى يدخل الجنة معها، ويكلم آدم وزوجته، فكل الدواب أبى ذلك عليه، حتى كلم الحية فقال لها: أمنعك من ابن آدم، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابين من أنيابها، ثم دخلت به، فكلمها من فيها، وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله، وجعلها تمشي على بطنها».

ولكن قصة إبليس والحية من الأخبار الإسرائيلية التي لم تثبت في شرعنا منها شيء[1].

وبعد أن ذكر هذه القصة إمام المفسرين أبو جعفر الطبري، وذكر أقوالاً غيرها، قال: «وقد رويت هذه الأخبار عمن رويناها عنه من الصحابة والتابعين وغيرهم، في صفة استزلال إبليس عدو الله آدم وزوجته حتى أخرجهما من الجنة، وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقًا، وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما، وأنه قال لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٨، ١٨٩، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٧٧.

ملكين أو تكونا من الخالدين، وأنه قاسمهما: إني لكما لمن الناصحين، مدليًا لهما بغرور، ففي إخباره – جل ثناؤه- عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما: إني لكما لمن الناصحين الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه إما ظاهرًا، وإما مستجنًا في غيره؛ وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلانًا في كذا وكذا إذا سبب له سببًا وصل به إليه دون أن يحلف له، والحلف لا يكون بتسبب السبب، فكذلك قوله: فوسوس إليه الشيطان، لو كان ذلك منه إلى آدم على نحو الذي منه إلى ذريته في تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه إياه بما استزله به من القول والحيل لما قال – جل ثناؤه-: وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، كما غير جائز أن يقول اليوم قائل ممن أتى معصية قاسمني إبليس إنه لي ناصح فيما زين لي من المعصية التي أتيتها؛ فكذلك الذي كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم لما قال – جل ثناؤه- : وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، ولكن ذلك كان إن شاء الله على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله.

فأما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها، وطرده عنها، فليس فيما روي عن ابن عباس ووهب بن منبه في ذلك معنى يجوز لذي فهم مدافعته؛ إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه، وهو من الأمور الممكنة، والقول في ذلك أنه قد وصل إلى خطابهما على ما أخبرنا الله – جل ثناؤه- وممكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذي قاله المتأولون، بل ذلك

إن شاء الله كذلك لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك»[١].

نخلص مما تقدم أن إبليس خاطب آدم وزوجته مباشرة حتى أزلهما، كما هو ظاهر النصوص الشرعية، وذلك الدخول ليس إكرامًا؛ بل على وجه الإهانة، وبيان فساد إبليس وحرصه على إغواء آدم عليه السلام وذريته.

والمسائل الغيبية يوقف بها عند النص – كما هو معلوم- أما الأخبار الإسرائيلية فما وافق شرعنا ففي شرعنا الكفاية عنه، وما خالفه رُدَّ ولم يقبل، وما لم يرد في شرعنا ما يوافقه أو يخالفه توقفنا فيه، فلا نصدقه ولا نكذبه، وحسبنا ما جاء في شرعنا.

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٩.

المبحث الحادي عشر

عرش إبليس

ثبت في الصحيح أن عرش إبليس ومركزه على البحر، وأنه يرسل جنوده وسراياه لإضلال بني آدم، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، حتى يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئًا. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت»**. قال الأعمش [أحد رواة الحديث]: أراه قال: فيلتزمه.

وفي رواية: **«إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة»**(١).

قال النووي: «العرش هو: سرير المـَلِك، ومعناه أن مركزه البحر، ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض، قوله: (فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت): هو بكسر النون وإسكان العين، وهي نِعْمَ الموضوعة للمدح، فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرادها، قوله: (فيلتزمه): أي يضمه إلى نفسه ويعانقه»(٢).

فإبليس يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها، ومن قاعدته يرسل الجنود والسرايا في الاتجاهات المختلفة، ويعقد مجالس يناقش جنوده، وجيوشه فيما صنعته من الضلال والفتنة، فيثني على الذين أحسنوا وأجادوا في الإضلال وفتنة الناس.

---

(١) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس، ح ٢٨١٣؛ الأحاديث أرقام (٦٦،٦٧،٦٨) داخل كتاب صفات المنافقين.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٥٧ .

وإبليس له خبرة طويلة في مجال الإضلال، ولذلك فإنه يجيد وضع خططه ونصب (مصائده) وأحابيله، فهو لم يزل حيًا يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨] وفي الحديث: «**إن الشيطان قال: وعزتك يارب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»[(١)].

فهو دؤوب على الشر ونشر الفتنة، مصر على الإغواء الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل[(٢)].

قال المناوي في شرحه الحديث السابق: «... (يضع عرشه) أي سرير ملكه يحتمل أن يكون سريرًا حقيقة يضعه (على الماء) ويجلس عليه، وكونه تمثيلاً لتفرّعنه وشدة عتوّه ونفوذ أمره بين سراياه وجيوشه، وأيًا مّا كان فيظهر أن استعمال هذه العبارة الهائلة، وهي قوله عرشه تهكمًا وسخرية؛ فإنها استعملت في الجبار الذي لا يغالب، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ والقصد أن إبليس مسكنه البحر (ثم يبعث سراياه) جمع سرية وهي القطعة من الجيش (فأدناهم منه) أي أقربهم (منزلة) وهو مبتدأ (أعظمهم فتنة) خبره (يجيء أحدهم) بيان

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٩، ٤١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٦١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٠٧، وقال عنه الألباني: (حسن). انظر: صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٣٩ ح٦٦٥٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٣ ح١٠٤.

(٢) انظر: عالم الجن والشياطين ص ٦٣-٦٤.

لمن هو أدنى منه ولمن هو أبعد (فيقول فعلت كذا وكذا) أي وسوست بنحو قتل أو سرقة أو شرب، (فيقول) له (ما صنعت شيئًا) استخفافًا بفعله فنكره في سياق النفي (ويجيء أحدهم فيقول) له (ما تركته) يعني الرجل (حتى فرقت بينه وبين أهله) أي زوجته، (فيدنيه منه) أي يقربه منه»... إلى أن قال «ثم إن هذا تهويل عظيم في ذم التفريق، حيث كان أعظم مقاصد اللعين لما فيه من انقطاع النسل وانصرام بني آدم فوقع وقوع الزنا الذي هو أعظم الكبائر فسادًا وأكثرها معرّة، كيف وقد استعظمه في التنزيل بقوله: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٠٢] »[١].

ويُعد السحر المتلقى عن الشياطين من الإنس والجن من أعظم ما توصل به إلى التفرقة بين المرء وأهله، وبين كل متآلفين ومتوادين، ولهذا يشكر إبليس سعي من كان السبب في ذلك، فالذي ذمه الله يمدحه إبليس، والذي يغضب الله يرضيه[٢].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لابن صائد[٣]: «**ما ترى؟**»

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠٨ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ١/ ٥٤، وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٣٧ .

(٣) هو صافي، وقيل: عبد الله بن صيّاد أو صائد، كان من يهود المدينة، ذكر ابن كثير وغيره أنه أسلم، وكان صغيرًا عند قدوم النبي ﷺ المدينة، ثم أصبح يأتي بغرائب وعجائب حتى ظن بعض الصحابة أنه الدجال، حتى ذهب الرسول ليختبره كما في حديث أبي سعيد الخدري، وبعض العلماء يجزم بأنه دجال من الدجاجلة، كما توقف في أمره بعضهم. قال ابن حجر: «وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة؛ لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعًا؛ لأنه=

قال: أرى عرشًا على الماء. فقال رسول الله ﷺ: **«ترى عرش إبليس على البحر»**[(١)].

قال ابن كثير: «فإبليس -لعنه الله- حتى الآن، مُنْظَر إلى يوم القيامة بنص القرآن، وله عرش على وجه البحر، وهو جالس عليه، ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صائد: ما ترى؟ قال: أرى عرشًا على الماء. فقال له النبي ﷺ: **«اخسأ فلن تعدو قدرك»** فعرف أن مادة مكاشفته التي كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذي هو يشاهد عرشه على البحر؛ ولهذا قال له: **«اخسأ فلن تعدو قدرك»**، أي لن تجاوز قيمتك الدنية الخسيسة الحقيرة»[(٢)].

- يموت كافرًا، وإن كان غيره فهو حال لقيه النبي ﷺ لم يكن مسلمًا». الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ١٣٣. وانظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١/ ١٢٨، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ٣١٩.

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح ٢٩٢٥.

(٢) البداية والنهاية ١/ ٥٣.

المبحث الثاني عشر

إنظار إبليس ثم موته والحكمة من ذلك

لما امتنع عدو الله إبليس عن الامتثال لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام، وأبى واستكبر أهبطه الله وجعله من الصاغرين المهانين الأذلين، وسأل الله النظرة والإمهال؛ ليتمكن من إغواء من يقدر عليه من بني آدم.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣-١٤].

فإبليس سأل الله تعالى الإنظار والإمهال ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [١] أي يوم القيامة، فهو طَلَبَ من الله أن يؤخره فلا يموت إلى يوم أن يبعث الله الخلق من قبورهم ويحشرهم لموقف يوم القيامة[٢].

وقال بعض العلماء: إن إبليس أراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون ألاّ يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه، ولا بعده[٣].

ولما كانت حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطيعه، ومن يطيع عدوه، أجابه لما سأله، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾، ولم يبين في سورة (الأعراف) الغاية التي أنظره إليها، وقد ذكرها في سورتي (الحجر) و(ص): ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧-٣٨، وص: ٨٠-٨١].

---

(١) في سورة الأعراف، الآية ١٤، وسورة الحجر، الآية ٣٦، وسورة ص، الآية ٧٩.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/ ٢٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٤/ ٣٨١، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٧.

وأكثر العلماء على أن المراد بالوقت المعلوم «أي يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع الخلق؛ وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم ديار» والمراد به وقت النفخة الأولى حين تموت الخلائق[١].

وقال بعض المفسرين: المراد بالوقت المعلوم: البعث، وهو نفخة الصور الثانية[٢].

وقيل: الوقت المعلوم «الذي استأثر الله بعلمه، ويجهله إبليس، فيموت إبليس ثم يبعث؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] »[٣].

ولم تكن إجابة الله تعالى سؤال إبليس في الإمهال والإنظار إكرامًا له؛ بل كانت زيادة في بلائه وشقائه؛ فإجابة الله لدعائه امتحان وابتلاء من الله تعالى له وللعباد؛ ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك؛ ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده[٤].

قال ابن كثير: «أجابه تعالى إلى ما سأل لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة، التي لا تخالف ولا تمانع، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب»[٥].

فمن حِكم إبقائه وإنظاره:

١- أن الله لما جعله ابتلاء ومحكًا يخرج به الطيب من الخبيث، ووليه من عدوه،

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/ ٢٢، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨١ و٨/ ١٠٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٧، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٩٥.

(٢) انظر: محاسن التأويل ٧/ ٢٦٣١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٧.

(٤) انظر: معالم التنزيل ٤/ ٣٨١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٨٥.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٩٥.

اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم، فكما اقتضت حكمته ابتلاء أبي البشر اقتضت ابتلاء أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، والشقاوة لمن وافقه ووالاه.

٢- أنه لو مات لكان خيرًا له وأخف لعذابه، فلما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية، وعدم التسليم لرب العالمين، والحلف على إغواء بني آدم وصدهم عن عبودية الله تعالى، كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه، فأبقي في الدنيا، وأملي له؛ ليزداد إثمًا على إثم ذلك الذنب، فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر.

٣- وذكر ابن القيم أن من حكم إبقاء إبليس «أنه لما قال في مخاصمته لربه: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا لما يصلح له الشوك والروث، أبقاه له وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك فاجلس في انتظارهم، وكلما مرّ بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لي لما ملكتك منه، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت ولي المجرمين، الذين غنوا عن موالاتي، وابتغاء مرضاتي، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]»[1].

---

(١) انظر: شفاء العليل ص٢٤٠-٢٤١.

المبحث الثالث عشر

كيف يعذب إبليس بالنار وهو مخلوق منها

شبهة والرد عليها:

ملخص هذه الشبهة التي يذكرها بعض الناس هي أن الله قضى بأن جزاء إبليس نار جهنم يعذب فيها هو ومن تبعه من شياطين الإنس والجن، فكيف يعذب إبليس بالنار وهو مخلوق منها؟ وكيف يعذب كفرة الجن بالنار وأصلهم منها، وكيف ترمى الشياطين بالشهب؟

الجواب على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أنه ثبت بالنصوص الشرعية أن إبليس خلق من نار، وثبت أنه يعذب في النار بدليل قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وقوله: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣] وغيرها من الآيات.

فيجب الإيمان والوقوف مع النص، ولا اجتهاد معه.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أخبر في القرآن الكريم أنه خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، وأخبر- سبحانه- في آية أخرى أنه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، وأخبر -أيضًا- أنه خلق ﴿ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، والآيات في هذا كثيرة[١].

---

(١) انظر: الأنعام ٢، الأعراف ١٢، السجدة ٧، الصافات ١١، الإسراء ٦١.

والمراد أن أصل الإنسان كان طينًا، وليس الآدمي طينًا حقيقة، وكذلك إبليس، والجن، والشياطين، كانوا نارًا في أصل الخلقة، وليسوا نارًا بعد ذلك.

الوجه الثالث: ما رواه أبو الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «**أعوذ بالله منك**»، ثم قال: «**ألعنك بلعنة الله ثلاثًا**»، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك! قال: «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»[1].

فلو كان إبليس باقيًا على عنصره الناري لما احتاج إلى أن يأتي بشهاب من نار إلى الرسول ﷺ، ولكانت يد إبليس أو شيء من أعضائه كافيًا.

قال الخطابي في تعليقه على هذا الحديث: «فيه دليل على أن الجن ليسوا باقين على عنصرهم الناري... فدل على أن تلك النارية انغمرت في سائر العناصر»[2].

الوجه الرابع: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ٥/ ٣٠، ٣١ من شرح النووي.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٤/ ٢٣٤، ٢٣٥.

«مرّ عليَّ الشيطان فأخذته فخنقته حتى لأجد برد لسانه في يدي، فقال: أوجعتني أوجعتني»(١).

دل هذا الحديث على أن إبليس ليس نارًا، إذ لو كان نارًا لما وجد رسول الله ﷺ للسانه بردًا.

الوجه الخامس: روى الإمام أحمد أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن خنبش: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين؟ قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية، وتحدرت عليه من الجبال، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ قال: فرعب – قال جعفر أحسبه قال: جعل يتأخر– قال: وجاء جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قل، قال: ما أقول؟ قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن، فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله عز وجل(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٣ ح ٣٩٢٦. قال المحقق أحمد محمد شاكر: إسناده ضعيف، لانقطاعه، ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٩٩. وقال الهيثمي: رواه أحمد، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله رجال الصحيح ١/ ٢٨٨، وأصل هذا الحديث في البخاري، انظر: الفتح ٨/ ٥٤٦، وفي مسلم انظر: شرح النووي ٥/ ٢٩،٢٨ .

(٢) المسند ٣/ ٣١٩. ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٦٣١. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٤٩٥ ح ٨٤٠ .

فلو كان الشيطان نارًا لما احتاج لحمل شعلة معه، ولكانت يده كافية للإحراق.

الوجه السادس: قول الرسول ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا، أو قال شيئًا**»[(١)].

فقوله: « **إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم** » هو على ظاهره؛ إذ لا صارف يصرفه عن ظاهره، والله عز وجل أقدره على ذلك، وجعل له قدرة وقوة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه[(٢)].

ولو كان الشيطان باقيًا على ناريته لما استطاع أن يجري في الإنسان مجرى الدم.

الوجه السابع: أن أصل الإنسان من طين، فلو ضُرب بطين أو فخار، لتعذب به، بل قد يقتل به، ولو رمي بتراب أو دفن فيه لاختنق وتأذى، وكذلك إبليس خلق من نار وسيعذب بها هو والشياطين.

الوجه الثامن: أن الله قادر على أن يعذب من شاء بما شاء، فهو القادر على أن يعذب بالنار من خلقه من نار، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، الفتح ٤/ ٢٧٨. ورواه مسلم، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة؛ وكانت زوجته أو محرمًا له أن يقول: هذه فلانة. صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٥٦،١٥٧ .

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤/ ٢٨٠ .

المبحث الرابع عشر

الحكمة من خلق إبليس وجنوده

الله سبحانه وتعالى حكيم لا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يفعل لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل.

والله – جلا وعلا- خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته، لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقدره خير كله؛ ولهذا تنزه ربنا سبحانه عن الظلم، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شرًا، فعلم أن الشر ليس إليه[1].

وقد كان من دعاء رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة وكبر أن يقول: «**لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك**»[2].

«فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شرًا لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شرًا»[3].

ومما يجب أن يؤكد عليه أن الإرادة في كتاب الله تعالى نوعان:

الأول: إرادة قدرية كونية خلقية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث.

الثاني: إرادة دينية أمرية شرعية، وهي المتضمنة للمحبة والرضى.

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص١٧٩، ١٩٠.

(٢) الحديث رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح٧٧١.

(٣) شفاء العليل ص١٧٩.

وبيان ذلك أن المراد نوعان:

الأول: مراد لنفسه، مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

الثاني: مراد لغيره، قد لا يكون مقصودًا للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده، ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مرادٌ له من حيث إمضاءه وإيصاله إلى مراده، مجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما.

فالله سبحانه وتعالى يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سببًا إلى أمر هو أحب إليه من عدمه[1].

من ذلك أنه جل وعلا خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تبارك وتعالى ترتبت على خلقه، وجودها أحب إليه من عدمها، كما أن في خلقه حكمًا عظيمة، لا يحيط بتفاصيلها إلا الله سبحانه وتعالى، وتعجز العقول عن إدراكها؛ لذا اجتهد العلماء بذكر بعضها، ومن ذلك ما يأتي:

الحكمة الأولى: إكمال مراتب العبودية لأنبيائه وأوليائه؛ بمجاهدة إبليس وجنوده، ومخالفته ومراغمته، والاستعاذة بالله تعالى منه، واللجاء إليه جل وعلا أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لا يحصل بدونه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ١٩٣، ١٩٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٧٩، ٣٢٧، ٣٢٨.

الثانية: أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا، ونحوها أنواع عظيمة من العبودية المحبوبة عند الله سبحانه وتعالى، وهي إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه، فكان في خلق إبليس وجنوده قيام سوق هذه العبودية وتوابعها، وتتضمن من الفوائد ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

الثالثة: أنه سبحانه وتعالى يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، وأولياء الله تعالى نالوا بوجود إبليس وجنوده، وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه؛ ولهذا فإن شكر آدم عليه السلام بعد أن ابتلي بعدوه ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله أعظم من شكره وهو في الجنة قبل أن يخرج منها.

الرابعة: أن عدو الله إبليس محك امتحن الله به خلقه، ليتبين به خبيثهم من طيبهم؛ فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض؛ وفيها السهل والحزَن، والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم، ولا بد من سبب يظهر ذلك، وكان إبليس محكًا يميز به الطيب من الخبيث، كما جعل الله تعالى أنبياءه ورسله محكًا لذلك التمييز.

الخامسة: أن خوف الملائكة، والمؤمنين من ذنوبهم، بعد ما شاهدوا من حال عدو الله إبليس ما شاهدوه وسقوطه، وهبوطه مذمومًا مدحورًا، يكون أقوى وأتم، ولا شك أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى لله تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر.

السادسة: أن العباد ينالون ثواب مخالفة إبليس وجنوده، ومعاداتهم، ونحو ذلك، مما حصوله مشروط بالمعاداة والمخالفة، فأكثر عبادات القلوب والجوارح

مرتبة على مخالفة عدو الله.

السابعة: أن اتخاذ إبليس عدوًا هو من أكبر أنواع العبودية وأجلّها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، فاتخاذه عدوًا أنفع شيء للعبد، وهو محبوب للرب سبحانه وتعالى.

الثامنة: إظهار كمال القدرة لله تعالى في خلق الأسباب المتقابلة، مثل خلق جبريل وسائر الملائكة، وخلق إبليس والشياطين، وهذا من شأن كمال الربوبية والقدرة النافذة، وإن كان شأن الربوبية كاملاً في نفسه، لكن خلق هذه الأسباب من لوازم كماله، وملكه، وقدرته، وحكمته، فظهور تأثيرها وأحكامها تحقيق لذلك الكمال.

التاسعة: أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده؛ فإن الضد إنما يظهر حسنه الضد؛ فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى.

العاشرة: أن ظهور كثير من آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه حصل بسبب خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم، ووقوع الكفر والشر منهم، مثل ظهور آية الطوفان والعصا واليد وفلق البحر، وغير ذلك مما وجوده أحب إلى الله تعالى وأنفع لأوليائه، فلولا كفر الكافرين، وعناد الجاحدين لما ظهرت هذه الآيات الباهرة.

الحادية عشرة: أن الله عز وجل جعل إبليس عبرة لمن خالف أمره، وتكبر عن

طاعته وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره، ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب، وجعل إبليس عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه، وآدم عليه السلام عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه.

الثانية عشرة: ظهور آثار أسمائه وصفاته وأفعاله، المتضمنة لقهره وانتقامه وعدله، وإعزازه وإذلاله، وكذا حلمه وعفوه ومغفرته وستره، ونحو ذلك؛ فإن أسماءه وصفاته وأفعاله كمال، فلا بد من وجود متعلقها، ولولا خلق ما يكره من الأسباب المفضية إلى ظهور آثارها لتعطلت تلك الحكم والفوائد.

الثالثة عشرة: أن من أسماء الله تعالى الحكيم، والحكمة من صفاته تعالى، وهي تستلزم وضع كل شيء موضعه، الذي لا يليق به سواه، فاقتضت خلق المتضادات، وتخصيص كل واحد منها لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك، فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت آثار حكمته، ولم تظهر لخلقه، ولفاتت الحكم والمصالح المترتبة عليها، وفواتها شر من حصول تلك الأسباب.

الرابعة عشرة: أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا وهذا، كما أن المادة الترابية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزَن، والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله، حكمة باهرة، وقدرة قاهرة، وآية دالة على وحدانيته وكماله، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الخامسة عشرة: أن حمده سبحانه وتعالى تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه وانتقامه، كما هو محمود على فضله وعطائه وإكرامه، فلله سبحانه الحمد التام الكامل على هذا وهذا، وهو يحمد نفسه على ذلك كله، ويحمده عليه ملائكته ورسله وأولياؤه، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كماله عليه الحمد التام، فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته[1].

---

(١) انظر: شفاء العليل، ص٢٣٦-٢٣٨، ومدارج السالكين ٢/ ١٩٥-١٩٨، وشرح العقيدة الطحاوية، ص٣٢٨-٣٣٠.

المبحث الخامس عشر

الحكمة من ذكر قصة إبليس وتكرارها في القرآن الكريم

ذكر الله سبحانه وتعالى قصة إبليس في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام وجحوده واستكباره ومعارضته لرب العالمين، وكررت هذه القصة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وفي هذا الذكر والتكرار حِكم وفوائد كثيرة، منها:

١ - التنبيه على عظم مخالفة النصوص:

إن مخالفة النصوص الشرعية وعدم التسليم لها من أعظم أسباب الوقوع في الفتن الصارفة عن الدين الحق، الموصلة للكفر والبدع والمخالفات، ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وهذا من أهم ما يجب أن نفيده من قصة إبليس اللعين عندما خالف أمر رب العالمين، فكانت عاقبته جهنم مذؤومًا مدحورًا.

قال ابن القيم بعد أن بين فساد شبهة إبليس: «... مما يدل على ضعف مناظرة اللعين، وفساد نظره وإدراكه، وأن الحكمة كانت توجب عليه خضوعه لآدم فعارض حكمة الله وأمره برأيه الباطل ونظره الفاسد، فقياسه باطل نصًا وعقلاً.

وكل من عارض نصوص الأنبياء بقياسه ورأيه فهو من خلفائه وأتباعه، فنعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعصمة من هذا البلاء الذي ما رمي العبد بشر منه، ولأن يلقى الله بذنوب الخلائق كلها -ما خلا الإشراك به- أسلم له من أن يلقى الله وقد عارض نصوص أنبيائه برأيه ورأي بني جنسه، وهل طرد الله إبليس ولعنه وأحل عليه سخطه وغضبه إلا حيث عارض النص بالرأي والقياس، ثم قدمه عليه، والله يعلم أن شُبه عدو الله مع كونها داحضة باطلة أقوى من كثير من شُبه المعارضين لنصوص الأنبياء بآرائهم وعقولهم.

فالعالم يتدبر سرّ تكرير الله لهذه القصة مرة بعد مرة، وليحذر أن يكون له نصيب من هذا الرأي والقياس وهو لا يشعر، فقد أقسم عدو الله أنه ليغوين بني آدم أجمعين إلا المخلصين منهم، وصدَّق تعالى ظنه عليهم، وأخبر أن المخلصين لا سبيل له عليهم، والمخلصون هم الذين أخلصوا العبادة والمحبة والإجلال والطاعة لله، والمتابعة والانقياد لنصوص الأنبياء، فيجرد عبادة الله عن عبادة ما سواه، ويجرد متابعة رسوله وترك ما خالفه لقوله دون متابعة غيره، فليزن العاقل نفسه بهذا الميزان قبل أن يوزن يوم القدوم على الله، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

٢ – بيان عداوة إبليس لآدم وذريته والتحذير من اتباعه :

فإبليس استكبر عن طاعة رب العالمين، وامتنع عن السجود لآدم عليه السلام حيث أمره الله سبحانه وتعالى، بل عاند زاعمًا أنه خير من آدم؛ فمن ذلك نعلم عداوة إبليس لآدم وذريته، وعزمه على غوايتهم وإفسادهم، قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢،٨٣] ، وقوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ١٤٢ .

فوجب الحذر منه، والبعد عن وسواسه وغوايته وتزيينه الباطل.

قال ابن كثير: «فأهبط إبليس من الملأ الأعلى... فنزل إلى الأرض حقيرًا ذليلاً مذؤومًا مدحورًا، متوعدًا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والإنس، إلا أنه مع ذلك جاهد كل الجهد على إضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢-٦٥]»[١].

وقال أيضًا في تفسيره: «ينبه تعالى بني آدم على شرف أبيهم آدم، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو منطوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم؛ ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه»[٢].

وقال السعدي عند تفسيره للآيات السابقة ونحوها مما ذكر فيه قصة إبليس: «ينبه تبارك وتعالىٰ عباده على شدة عداوة الشيطان، وحرصه على إضلالهم، وأنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له...، والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين، الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله...

يخبر الله تعالى عن عداوة إبليس لآدم وذريته، وأن الله أمر الملائكة بالسجود

---

(١) البداية والنهاية ١/ ٥٠-٥١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٩٣ .

لآدم، إكرامًا وتعظيمًا، وامتثالاً لأمر الله، فامتثلوا لذلك ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ وقال : ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ فتبين بهذا عداوته لله ولأبيكم، فكيف تتخذونه وذريته أي: الشياطين ﴿ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾، أي بئس ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان، الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء والمنكر عن ولاية الرحمن، الذي كل السعادة والفلاح والسرور في ولايته، وفي هذه الآية الحث على اتخاذ الشيطان عدوًا، والإغراء بذلك، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنه لا يفعل ذلك إلا ظالم، وأي ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقي وليًا، وترك الولي الحميد»[(١)].

٣- التحذير من الحسد والكبر وبيان عاقبتهما:

المتأمل في قصة إبليس وامتناعه عن امتثال أمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام يدرك أن سبب ذلك الاستكبار والحسد، وهما من أعظم أسباب الوقوع في الانحرافات، وجلب الفتن والمخالفات.

قال الرازي: «واعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر؛ وذلك لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر.

والكفار إنما نازعوا محمدًا ﷺ بسبب الحسد والكبر.

فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرًا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين، وذكر في تقريره أمورًا أربعة:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤١٣،٤٢٩ .

أولها: أنه نبأ عظيم فيجب الاحتياط فيه.

والثاني: أن قصة سؤال الملائكة عن الحكمة في تخليق البشر يدل على أن الحكمة الأصلية في تخليق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والتكبر.

الثالث: أن إبليس إنما خاصم آدم عليه السلام لأجل الحسد والكبر، فيجب على العاقل أن يحترز عنهما.

فهذا وجه النظم في هذه الآيات»[1].

كما يستفاد من قصة إبليس بيان عاقبة المتكبرين، وذلك في قوله سبحانه وتعالى مخاطبًا إبليس: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣].

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه عامل إبليس اللعين بنقيض قصده، حيث كان قصده التعاظم والتكبر؛ فأخرجه الله صاغرًا حقيرًا ذليلاً، متصفًا بنقيض ما كان يحاوله من العلو والعظمة، وذلك في قوله: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾، والصغار أشد الذل والهوان، وكذلك قوله: ﴿ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴾ [الأعراف: ١٨].

ويفهم من الآية أن المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك؛ وصرح تعالى بهذا المعنى في قوله: ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ ﴾ [غافر: ٥٦] .

وبين في مواضع أخر كثيرًا من العواقب السيئة التي تنشأ عن الكبر -أعاذنا الله والمسلمين منه-:

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٢٧. وانظر: بدائع الفوائد ٤/ ١٣٨.

- فمن ذلك أنه سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله، والاهتداء بها كما في قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

- ومن ذلك أنه من أسباب الثواء في النار لما في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥].

- ومن ذلك أن صاحبه لا يحبه الله تعالى كما في قوله: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣].

- ومن ذلك أن موسى استعاذ من المتصف به، ولا يستعيذ إلا مما هو شر، كما في قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧].

إلى غير ذلك من نتائجه السيئة، وعواقبه الوخيمة، ويفهم من مفهوم المخالفة في الآية أن المتواضع لله جل وعلا يرفعه الله[(١)].

«وقد أشار تعالى إلى مكانة المتواضعين له عنده في مواضع أخر كقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، وقد صح عنه

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٩٤،٢٩٥ .

ﷺ أنه قال: «**إنه أوحي إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[١]، وقد قال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه   على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه   إلى صفحات الجو وهو وضيع

وقال أبو الطيب المتنبي:

ولو لم يعل إلا ذو محل   تعالى الجيش وانحط القتام»[٢]

ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[٣].

قال البغوي: «قوله: « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** »، قيل: أراد به كبر الكفر...، وقيل: أراد أن الله سبحانه وتعالى ينزع الكبر من قلبه إذا أراد أن يدخله الجنة، حتى يدخلها بلا كبر، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ [الحجر: ٤٧]»[٤].

وقيل: المراد أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة، وقد يتكرم سبحانه وتعالى بأنه لا يجازيه، وقيل: المراد: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة[٥].

وجاء في الحديث المتفق على صحته قوله ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار: كل**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة، باب ١٦، ح ٢٨٦٥ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٩٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح٩١ .

(٤) شرح السنة ١٣/ ١٦٦ .

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٩١ .

عتلٍّ جوّاظ مستكبر»[1].

والمراد به: شديد الخصومة، الفظ الغليظ الذي لا ينقاد لخير، الجموع المنوع، المختال في مشيه، المستكبر[2].

٤- أخذ العظة والعبرة والمداومة على الخوف والخشية، والإكثار من سؤال الله سبحانه وتعالى الاستقامة والثبات عليها:

ولهذا كان الرسول ﷺ يدعو بـ: **«اللهم أعني على شكرك وعلى ذكرك، وعلى حسن عبادتك»**[3]، و**«اللهم يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك»**[4]، و**«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»**[5].

فإن إبليس لمّا عصى الله تعالى وخرج عن طاعته، واستكبر، أهبطه جل وعلا وجعله من الصاغرين إلى يوم يبعثون، ومثواه جهنم وبئس المصير.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر. ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ح ٢٨٥٣.

(٢) انظر: شرح السنة ١٣/ ١٧٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ٦٦٣.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار. ورواه النسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء (٦٠)، وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٥، وقال عنه الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٣٢٠، ح٣٠٦٣.

(٤) رواه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ح ٢١٤٠. ورواه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ. وقال عنه الألباني: (صحيح). انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٢٥.

(٥) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، ح٢٧٣٩.

فعلى المسلم أخذ العظة والعبرة مما قصد الله عليه في القرآن الكريم، وأن يداوم على الطاعة، ويسأل ربه الثبات على الاستقامة، وأن يحذر من المخالفة وأسبابها، فإن الرسول ﷺ كان يكثر أن يقول: «**اللهم ثبت قلبي على دينك**» فقال رجل: يا رسول الله، تخاف علينا وقد آمنا بك وصدقناك بما جئت به؟! فقال: «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يُقلِّبها**»(١).

ومن أعظم أسباب المخالفة والانحراف اتباع إبليس الذي سُلِّط على آدم وذريته، إلا أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ من آمن به عز وجل وصدَّق رسله واتبع شرعه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢٠-٢١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٢-٤٤]، وقوله جل وعلا: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وقوله: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ

---

(١) سبق تخريجه.

عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٦٢].

فإبليس وجنوده من الشياطين حريصون على إغواء بني آدم، فهم يشتهون الشر ويلتذون به، ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم، وإن كان موجبًا لعذابهم وعذاب من يغوونه، فإذا تقرب أصحاب الكفر والشرك إليهم بما يحبونه صار ذلك كالرشوة لهم، فيقضون بعض أغراضهم، كمن يعطي غيره مالاً ليقتل من يريد قتله، أو يعينه على فاحشة، أو ينال معه فاحشة، والإنسان إذا فسدت نَفْسُه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقًا يفسد عقله ودينه وخُلقه وبدنه وماله[1].

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ١٩/ ٣٤،٣٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان على تتمة هذا البحث، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذه الدراسة:

١- أن حقيقة إبليس وما ثبت فيه من النصوص الشرعية هو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها دون زيادة ولا نقصان، وترك الأخبار الإسرائيلية وغيرها مما لم يثبت في ديننا.

٢- أن إبليس هو أبو الجن: مؤمنهم وكافرهم، وكفارهم هم الشياطين، وعلى هذا فهو أصل الجن والشياطين ومصدرهم، ولم يكن من الملائكة؛ بل هو أصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس.

٣- أن خلقه متقدم على خلق آدم، وأنه خلق من نار السموم.

٤- أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام تشريفًا وتكريمًا له ففعلوا إلا إبليس؛ منعه الكبر حين ظن أن مادة خلقه وهي النار أفضل من مادة خلق آدم وهي الطين.

٥- أن قياس إبليس هذا قياس فاسد الاعتبار لمخالفته النص الصريح بالأمر بالسجود لآدم عليه السلام.

٦- أن شبهة إبليس فاسدة، وظنه باطل، فإن الطين خير من النار، وبيان ذلك من وجوه كثيرة.

٧- أن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم عليه السلام هي جنة الخلد، وأن إبليس استطاع بتقدير الله تعالى الكوني أن يزلهما عنها ويخرجهما مما كانا فيه.

٨- أن عدو الله تعالى إبليس لما أهبطه الله وجعله من الصاغرين طلب الإنظار والإمهال، ليتمكن من إغواء من يقدر عليه، فأجابه وأنظره ابتلاء وامتحانًا للعباد، فوضع عدو الله عرشه على الماء، وبعث سراياه لفتنة الناس وإغوائهم.

٩- أن في خلق إبليس من الحِكم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وقد ذكرت ما تيسير منها في هذا البحث.

١٠- ذكر الله تعالى قصة إبليس مع آدم عليه السلام وكررها في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى، وذلك لما فيها من العبر العظيمة، والحِكم الكثيرة.

١١- وجوب الإفادة من تلك القصة، وأخذ العظة والعبرة منها، ولعل من أهم الفوائد: الحذر من مخالفة النصوص الشرعية، وعدم التسليم لرب العالمين، ومخالفة أمر الله بالأهواء الباطلة، والأقيسة الفاسدة.

١٢- الابتعاد عن الحسد والكبر، ومعرفة عاقبة المستكبرين.

١٣- الحذر من إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن، وأخذ الوقاية الشرعية التي تحفظ المسلم من فتنته، وفتنة سراياه الذين يبعثهم بأسباب الكفر والضلال من السحر والشعوذة، وكل ما يخالف شرع الله تعالى.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة